اجتهادات
قاتلُ .. ومقتول

بسبب ذهنية الصراع الصفرى، الذى ينتهى باستسلام أحد طرفيه رسميًا أو فعليًا, شغلت الحروبُ مساحةً عريضة فى تاريخ البشر وحاضرهم. وفى عصرنا، كما فى فجر البشرية، تنتشرُ ذهنيةُ الصراع الصفرى بأشكالٍ متعددة إحداها العجز عن تصديق أن هناك من وقّاهم الله شر هذه البلية.

ونجدُ آخر تجليات حالة عدم التصديق هذه فى قبول كُثُر روايات مُسَيسَة مفادها أن مقتدى الصدر لم يدع أنصاره للعودة إلى بيوتهم, بعد أن اندلعت اشتباكاتُ دموية فى منطقة بغداد الخضراء, إلا لضغوطٍ مورست عليه. لا يُصدقُ هؤلاء أنه ربما أراد حقن الدماء حقًا، وعدم الانجراف نحو صراعٍ صفرى مدمر قد لا يعود العراق بعده كما كان.

يُروى مثلاً أن الضغوط التى أُذعن لها جاءت من طهران. ويُقالُ، فى رواياتٍ أخرى، إن مسئولين إيرانيين لم يتمكنوا من الاتصال به، فطلبوا إلى السيد حسن نصر الله أن ينقل إليه الرسالة التى دفعته إلى الدعوة لوقف القتال. وينسى من يُردِّدون هذه الرواية أن نصر الله لا يستخدم الهاتف مُطلقًا

لدواعٍ أمنية. ومن القصص التى يُرَّوج لها أيضًا أن المرجع الشيعى كاظم الحائرى، الذى كان الصدر الأب قد أوصى بأن يخلفه، رفع الغطاء عن الصدر الابن. وهذه قصةُ لا تخلو من خيالٍ أيضًا، لأن علاقة الصدر مع الحائرى مقطوعةُ فعلياً منذ أكثر من 10 سنوات لتراكم خلافاتٍ متوالية كان أولُها عندما لم يلق إعلان الصدر مقاومة الاحتلال الأمريكى قبول المرجع.

كما أن أثر اعتزال الحائرى، المقيم فى قم وليس فى النجف الأشرف، على أنصار الصدر لا يُذكر. فمعظم الصدريين شباب لا يعرفونه، ولا يهتمون بالمراجع الدينية أصلاً. ولهذا يصعب تصور أن يكون موقفه مؤثرًا فى قرار الصدر الذى يتخذُ أهم مواقفه بشكلٍ مستقل منذ سنوات طويلة.

غير أنها ذهنيةُ الصراع الصفرى التى تحولُ دون إدراك أن هناك من يدركون أخطاره، ويعرفون عدم جدواه لأن أحدًا لا يستطيعُ اجتثاث الآخر، مهما يكن حجمُ الخسائر وعددُ القتلى فى صفوف المهزومين, وزهوُ قاتليهم المنتصرين، بافتراض أن فيه منتصرًا ومهزومًا.